مبادئ إنسانية من ملحمة جلجامش تضحية انكيدو انموذجاً النص السومري

م.د. احمد بشار جمعه م.م. قتيبة احمد سلمان

المقدمة

ليس ثمة شك إن حضارتنا القائمة الآن هي امتداد لحضارات تعاقبت منذ بزوغ فجر أولى الحضارات الإنسانية وان حضارة العراق القديم هي من أقدم الحضارات على وجه البسيطة والتي رفدت الإنسانية بالكثير من الإبداعات في مجالات كثيرة كان لها دور في تطور الفكر الإنساني ولايمكن الوصول إلى فهم جذري معمق لهذه الحضارة العريقة بدون دراسة نتائجها الأدبي ؛ الذي تناول الكثير من المواضيع المهمة مثل التضحية وفكرة الموت والبعث من جديد وكان للبيئة العراقية اثر في إبداع تلك الأفكار التي أبدعها سكان العراق القديم من سومريين وجزريين.

فخط لنا الفنان العراقي القديم فنا أصيلا تناول فيه هذه الأفكار بإبداع رائع ومن أهم تلك الإبداعات الخالدة ملحمة(جلجامش وانكيدو والعالم الأسفل) التي سلطت الضوء على جانب مهم من حياة ذلك الإنسان وتناولت أجمل صورة للرجل الشهم ذو السمات والصفات البطولية مازجة معها روح التضحية والفداء من قبل الصديق متجسدا ذلك بانكيدو .

لذلك تم اختيار هذا البحث الذي جسد و وضح أهمية التضحية كمبدأ أنساني رائع يضاف إلى ذلك الحبكة الأسطورية وإبعادها الرمزية والفلسفية التي جادت بها و وصفها أدق تفاصيل الموت والعالم الأسفل وما بعد الموت وما يصيب الإنسان ويلحق به من ضرر والإلهة ودورها المهم في ذلك .

تمهيد تاريخي عن الملحمة:

انكيدو والعالم السفلي هذا العنوان هو جزء من ملحمة سومرية الأصل تعرف باسم **((جلجامش وانكيدو والعالم السفلي))** أو تعرف باسم **((جلجامش وشجرة الهلبو))**[1]، تتكون هذا الملحمة من ست عشرة لوحاً ترجم منها ما يقارب المائتين والخمسين سطراً، وباقي النصوص في حالة مهشمة ومكسرة عثر عليها العالم صموئيل نوح كريمر في اسطنبول وباقي الألواح في متحف الجامعة في فيلادلفيا[2].

ولا بد من الإشارة إن ترجمة هذا النص إلى الآن غير مكتملة لأسباب تتعلق بضياع باقي الألواح أو أنها دفينة الأرض أو المتاحف. لكن عن طريق الاستعانة باللوح الثاني عشر من النص البابلي المتعلق بملحمة جلجامش ذات ألاثني عشر لوحاً وبجمع أراء الباحثين والعلماء المختصين بالمسماريات، نستطيع عن طريقة إعطاء صورة واضحة عن مجريات الملحمة وإحداثها؛ إذ يرى عالم المسماريات صموئيل نوح كريمر بخصوص ذلك قائلاً: **"لا يمكن وصف ملحمة جلجامش على أنها إبداع أدبي سامي الا بالاقتصار على الألواح الأحد عشر من ألواحها ألاثني عشر على الرغم من الاقتباسات الواضحة من المصادر السومرية، لأن اللوح الثاني عشر (وهو اللوح الاخير من الملحمة) ليس الا ترجمة حرفية مطابقة للنصف الثاني من قصيدة سومرية الى اللغة الأكدية السامية ـ وتعرف أيضا باسم اللغة البابلية والأشورية ـ وقد ربط الكتبة البابليون هذا القسم (المترجم من القصيدة السومرية) بالألواح الأحد عشر غير ملتفتين الى معنى الملحمة الكلي ولا الى ترابطها أو سياقها"**[3].

وهناك من يرى عكس ذلك تماماً؛ إذ ان هذا النص أقحم في اللوح الثاني عشر من الملحمة وان مكانه الطبيعي منها يكون بعد موت انكيدو تماماً أي بعد اللوح السابع، بعدها يقوم جلجامش بالطلب من الإله (أيا) لإنقاذ صديقهُ بعد نزوله الى العالم السفلي أي بعد موته، لكن الإله يخرج روحه انكيدو على شكل شبح لجلجامش ليسأله عن أحوال العالم السفلي[4].

إما الدكتور نائل حنون يذكر انه على الرغم من ان الالواح 3–6 من ملحمة جلجامش تدور حول المواضيع نفسها للنصين السومريين "جلجامش وخواوا " و "جلجامش وثور السماء" فان

الاختلاف بين النصوص الاكدية والنصوص السومرية هذه لا يمكننا من القول احدها ترجمة للأخر فالاختلاف واضح في التفاصيل وفي الحبكة الروائية فضلا عن الاختلاف في البنية الأدبية[5].

لكن اللوح الثاني عشر يمثل جزء مضافا إلى نص الملحمة الذي تدل الشواهد على انه ينتهي بنهاية اللوح الحادي عشر وتتمثل هذه الشواهد في الأسطر الأخيرة من اللوح الحادي عشر التي تطابق مايرد في اللوح الأول من وصف لا سوار اوروك وتحديد لمساحتها وهذا ما يتفق مع ان بداية النص الروائي مطابقا لنهايته ومن هذه الشواهد ايضا عدم اتصال نص اللوح الثاني عشر بتسلسل الحوادث التي ترويها الإحدى عشر للملحمة [6] .

ويتفق الأستاذ نائل حنون مع الأستاذ كريمر ان اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش الذي يروي تفاصيل سقوط اداتي بكو(pikku) وميكو(mekku) العائدتين لجلجامش الى العالم السفلي ونزول انكيدو لاسترادهما وبقائه في هذا العالم أي موته ، ثم صعود روحه بهيئة شبح لمقابلة جلجامش هذه القصة تطابق جزاءاً من النص السومري الذي عرف بعنوان جلجامش وشجرة الاخليو[7]

وبرأينا أن ما ذهب اليه كريمر يكون هو الأرجح للقبول من بين هذين الرأيين، لأنه؛ إذ تم الاعتماد على رأي الماجدي لا بد من أن تكون صياغة وحبكة النص على غير ذلك فالنص يبين وجود آلتين (المكو والبكو) سقطت هاتين الآلتين في العالم السفلي وبعد ندب وبكاء جلجامش عليهما يهب انكيدو لمساعدة صديقة وسيده، ويقدم على التضحية بنفسه من اجل سعادة صديقة لهذا يوصي جلجامش انكيدو بمجموعة تعاليم عليه ان لا يخالفها أذا هم بالنزول الى ذلك العالم، لكن انكيدو يخالف وصايا سيده ويعمل عكس ذلك تماماً، وبهذا يكون انكيدو حبيس العالم السفلي؛ إذ حسب تعاليمه وشروطه لابد من وجود بديل لخروج انكيدو وبما انه لا يوجد هذا البديل يصعد فقط شبح انكيدو وبوساطة الاله (أيا). نتيجة لذلك يكون رأي الأستاذ كريمر اقرب إلى الصحة والقبول نتيجة للتقارب بين نصي الملحمة السومرية والبابلية إلى درجة التطابق.

وتأكيداً على ذلك يرى الأستاذ نائل حنون بخصوص انبعاث روح الميت من العالم السفلي؛ إذ يقول **((ومما يدل على عدم وجود أي اعتقاد بقيامة الأموات في بلاد الرافدين القديمة ما يرد على لسان جلجامش في اللوح العاشر من ملحمة))** وهذا ما يشير إليه النص الآتي:

"وصاحبي الذي أحببت تحول إلى طين
أولا سأكون مثله واضطجع ايضاً
فلا أقوم ثانية وإلى الأبد"[8].

نتيجة لذلك نستنتج إن نص الملحمة البابلي لا يحتوي أي أشارة إلى نزول انكيدو إلى العالم السفلي وانبعاث روحة وإنما هناك تأكيد في اللوح السابع إلى موت أنكيدو نتيجة لغضب الإلهة عليه، وبهذا من الممكن ان يكون اللوح الثاني عشر قد أضيف الى النص البابلي في أوقات لاحقة من تدوين النص الأصلي، أو قد يكون نتيجة العثور علية من قبل المنقبين في نفس مكان وجود النص البابلي، لذلك دمج مع باقي نصوص الملحمة دون مراعاة لتسلسل إحداث ألواح الملحمة.

وقبل إن ندخل إلى فكرة الملحمة يجب إن نعرف بعض الصفات التي يتمتع بها إبطال الملحمة .

جلجامش وانكيدو والصداقة المخلصة

تقدم الملحمة جلجامش بشكل كائن يجمع بين الإنسان والإله اي يتحد فيه الناسوت باللاهوت [9] ؛ و كتب اسمه في النصوص المسمارية مسبوقا بالعلامات الدالة على أسماء الآلهة أو الكائنات العلوية الأثرية ،وهي العلامة التي تقرا بالغة السومرية دنكر وبالغة الاكدية ال وهذا يدل على التعظيم ، ومن المتفق عليه ان جلجامش عاش في جنوب بلاد الرافدين وكان ملكا على مدينة اوروك (الوركاء)في حدود عام 2600قبل الميلاد أو قبل ذلك بقليل ،أي إن كان احد ملوك دويلات المدن التي قامت في بلاد الرافدين خلال عصر فجر السلالات وحتى الوقت الحاضر لم يكتشف نص مسماري معاصر جلجامش يذكر اسمه ،وليس هذا الأمر بالمستغرب فالكتابة كانت في مراحل اختراعها الأول [10].

وهو الخامس في قائمة ملوك اورك بعد الفيضان. وقد كانت فترة حكمه طويلة نسبيا حيث حكم ما يقرب من مائة وستة وعشرين عاما .وهذا الصفة مشتركه بين ملوك القائمة ،والذين يعتقد أنهم كانوا جميعا ملوكا حقيقيين قبل إن يتحولوا إلى إلهة في تراث بلاد النهرين ويعلل بعض المؤرخين اختلاط التاريخ بالأسطورة فيما يتعلق بشخص جلجامش الى حقيقة انتمائه إلى المملكة الأولى في اوروك في الإلف الثالث قبل الميلاد . فبالنسبة للسومريين قبل الإلف الثاني قبل الميلاد كانت هذه المملكة الأولى الأساطير والخرافات كما هو الحال بالنسبة لملوك العصور التاريخية الأولى العامة .وقد أصبح جلجامش في هذه الأساطير أيضا ملكا للعالم السفلي ،كما كان ملكا على مملكة اوروك في حياته الدنيا .والحقيقة ان التاريخ والأسطورة لم يمتزجا في شخصيه قديمة قدر امتزاجهما في شخصية جلجامش البطل التاريخي الذي أضيفت على شخصيته صفات أسطورية تسببت في إخفاء كثير من ملامح شخصيته التاريخية[11] .

ومن المفارقات التاريخية الفريدة ان هذا الإنسان ،الذي اقترن اسمه بالبحث عن الخلود والإخلاص من مواجهة الموت والإخفاق في بحثه العقيم ذاك ،قد حظي بخلود فاق ماكان مرة قانعا به من الخلود بديل عن الخلود المادي ،أي الخلود الذكر .فجلجامش هو الرجل الذي لم يخب ذكره على مر العصور ،قديمها وحديثها وسيظل ذكره قائما العصور قادمة قد لا نعلم مداها اليوم .ويمكننا متابعة استمرار ذكر جلجامش وتطور الأفكار التي تدور حوله وصولا الى تدوين الملحمة بإشكاله الأخيرة من خلال المسار الأتي :

-بعد موت جلجامش بقرن واحد تقريبا ظهر اسمه في قائمة إلهة مدونة على رقيم طيني اكتشف في موقع المدينة شروباك (تل فارة)

-بعد أربعة قرون من ذلك ورد اسم جلجامش في النص السومري المعنون "موت اور نمو "بصفته احد آلهة العالم السفلي .

-خلال القرون الخمسة التالية بدأت تظهر أولى المؤلفات المدونة السومرية والاكدية عن جلجامش بعد استمرار تداولها شفاهيا ،على ما يرجح لبضعة قرون.

–بعد ذلك بأربعة قرون , أي في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد ,ظهرت الرواية القياسية لملحمة جلجامش التي استنسخها سين–ليقي–اوتيني .

–وبعد مرور خمسة قرون كانت النسخ التي تدونت في العصر الأشوري الحديث عن ملحمة جلجامش في التداول .

–ولم تمر ثلاثة القرون أخرى حتى كانت النسخ البابلية المتأخرة عن الملحمة موجودة في مدينتي بابل واوروك .

–وفي حوالي 130 قبل الميلاد دونت أخر نسخة بابلية عن الملحمة من قبل بيل–اخي–اوصر ,الفلكي المتدرب في معبد بابل .اي ان ذلك كان بعد موت جلجامش,ملك اوروك بحوالي 2450عام .

–ولم يكن نهاية العصور ما قبل الميلاد خاتمة التواصل ذكر جلجامش ,اذ ظهر اسمه في المولفات الرومانية في القرن الثاني الميلادي ،وذلك في كتاب كلوديوس اليانوس الموسوم الذي ذكره بصيغة جلجامش .

–وفي عام 893 ذكر اسم جلجامش بصيغة جيموس في اثبات ثيودور برخوني الارمية للملوك البابليين[12] .

ومن هذه العرض المفصل نعرف ان شخصية جلجامش هي من الشخصيات المهمة والتي يتجلى فيها الصراع البطولي الذي يظهر واضح في ملحمة بما فيه من تأكيد على القوة البدنية والشجاعة إنما هو في النهاية صراع ضد الموت .وهذا ما يميز الإعمال البطولي المعتمدة على القوة لجلجامش عن كثير من الإعمال البطولية المنسوبة الى شخصيات أخرى في العالم القديم لهذا نجد ان القوة البدنية تنسحب في النهاية كصفة مميزة للبطل لانها فشلت في ان تصل بالبطل الى تحقيق موقف ايجابي إمام حقيقة الموت .وكل الانتصارات التي تحققت في قهر عوالم غريبة او حيوانات خرافية إلى غير ذلك .....كلها انتهت إلى هزيمة عقيلة إمام حقيقة الموت.ان جلجامش ليس بطلا عاديا.إنما هو بطل فيلسوف يجمع بين القوة والعقل , وانسحابه واستسلامه في النهاية إنما هو دليل

انتصار العقل والحكمة على القوة في القبول بالمصير الإنساني المحتوم ,وهو الموت ,وان المخرج الوحيد من هذه النهاية المأسوية إنما هو عن طريق العمل التاريخي والبناء الحضاري كوسيلة بديلة للحصول على الخلود .ولذلك فالملحمة هنا –وهي عمل فلسفي كبير –انما توظف القوة البدنية والشجاعة الفائقة للبطل كوسائل من اجل تحقيق هدف اسمي وهو الهدف الفكري للملحمة فالإعمال البطولية ليست هدفا في حد ذاتها,إنما هي غاية لتحقيق المضمون الفكري للملحمة[13] .

بعد ان فصلنا شخصية جلجامش يجب ان نعرف ان للصداقة أهمية كبير في الأدب السومرية وهي أمر جليل إذ كانت الصداقة نقي من الشوائب[14] . لذلك اوجد الملحمة صديق جلجامش وهو انكيدو الذي خلقته الإلهة لتهدف من خلال وضع حد لأفعال جلجامش الشريرة بتوجيه قوة للمصارعة انكيدو فخلق انكيدو عمل ايجابي قصد منه فعل الخير لمصلحة الشعب .وهذا يعني ان انكيدو قوت خيرة خلقت لتغلب الخير على الشر [15]. وهو يتصرف كجزء من الطبيعة ,وفي حالة تكيف تام مع المخلوقات الطبيعية الأخرى ؛ ولكن هناك بعض ما يميز انكيدو عن بقية الحيوانات البيئة الطبيعية التي ظهر فيها إذ يبدأ ان انكيدو على الرغم من سلوكه الحيواني وحياته الحيوانية إلا انه قد تمتع بعض من العقل او بلون من ألوان التفكير .فهو يطمر الحفر التي يحفرها الصياد للحيوانات ,ويقطع شباك الصيادين ,ويحث الحيوانات على الهرب الى غير ذلك من التصرفات التي تنم عن تفكير العقلي

" لقد ملا الحفر التي حفرتها ثانية
وقلع مصائدي التي كسرها
وجعل الإنعام دواب السهل تهرب من يدي
ولم يطلقني حرا على مخلوقات السهل"

هذه الصفة العقلية اليسيطة واو الفطرية في انكيدو وتجعله مهيئا لعملية التحويل التي ستجرى علية لكي يهجر طرق الحيوان,وينخرط في طرق الإنسان[16] .

لقد وضحت الملحمة مبدأ أنساني رائع هو الصداقة بين جلجامش وانكيدو ولابد هنا من الإشارة إلى ان جلجامش ينتمي إلى بيئة حضرية .بيئة المدينة بمؤسساتها المعقدة المرتبطة بالزراعة

والخصوبة والإنبات ,والمواسم والدورات الزراعية بينما ينتمي انكيدو إلى بيئة التلال والجبال والصحاري ,البيئة البدوية بكل صفاتها المتعارضة مع البيئة الزراعية ,حتى في التكوين الشخصي للإفراد .

وهنا يظهر التناقض التعارض الواضح بين شخصيتي جلجامش وانكيدو .وتوضح الملحمة ضرورة التلاحم بين البيئتين وبين إفراد هاتين البيئتين .ولا مفر من هذا التلاحم فالبيئة البدوية تقع على حدود البيئة الزراعية ,وعلى مستوى مفهوم البطولة الذي تعالجه الملحمة لا بد من وقوع صدام أو صراع بين البطلين لما يتبناه كل منهما من قيم معارضة وصفات شخصية متباينة .وتنجح الملحمة في توظيف الصداقة كعامل موقف بين البيئتين وإفرادهما وبين القيم المتباينة لهاتين البيئتين.وهذا بطبيعة إلى تفسير تاريخي للملحمة يميل إلى الواقعية في فهو الشخوص الرئيسية في الملحمة ,ويحاول إن يقدم رؤية للبطولة تتفق مع طبيعة البيئية وتباينها[17] .

إن ملحمة جلجامش رفدت الفكر الإنساني بمبادئ رائعة كان من أهمها الصداقة التي من اجلها ضحى انكيدو بنفسه وفاء لصديقه جلجامش .

فكرة الملحمة الرئيسة:

تدور أحداث الملحمة حول شخصية البطلين جلجامش وانكيدو بصورة رئيسة يضاف إليها دور الإلهة. تتحدث قصة الملحمة على انه في يوم من الأيام كانت هناك شجرة تسمى شجرة (الهولوبو) لعلها شجرة الصفصاف، موجودة على شاطئ نهر الفرات، وما إن هبت رياح قوية حتى اقتلعت الشجرة من جذورها فحملتها مياه النهر معها بعيداً حيث كانت آلهة الأرض والسماء الآلهة (إنانا) تتمشى على ضفاف النهر فأخذت هذه الشجرة بيدها وجاءت بها الى مدينة (أرك) وغرستها في حديقتها المقدسة آمله أنها ستصنع منها بعد نموها كرسياً وسريراً لها، لكن بعد اعوام خاب ضنها لأن حية لا يؤثر السحر فيها بنت فيها بيتاً وطائر الزو المخلوق الأسطوري بنى عشة فوقها وفي وسطها بنت الشيطانة ليليث بيتها. حينها أخذت ملكة الأرض والسماء (إنانا) بالبكاء لما أصاب شجرتها وعندما سمع جلجامش بكاء وشكوى الالهة (إنانا) للإله (أوتو) هب مسرعاً لمساعدتها مرتدياً لباس الابطال فأخذ فأسه ولبس درعه فهوى على الحية فذبحها وطائر الزو هرب مع فراخة أما الشيطانة ليليث فولت هاربة في الأراضي الجرداء الفقيرة حيث مكانها الذي اعتادت عليه. وهكذا استطاع

جلجامش وبمساعدة رجال مدينته الذين كانوا برفقة من قطع الشجرة وتقديمها الى الإلهة (إنانا) لتصنع لنفسها الكرسي والسرير، لكن (إنانا) مقابل عمل جلجامش البطولي صنعة من عروق الشجرة شيئاً أسمه الـ(بكو) ومن لبها صنعت له شيئاً أسمه الـ(مكو) من الممكن ان يكونا الطبل وعصاه وقدمتهما هديه الى جلجامش جزاءً على معروفه وشهامته ومروءة. بعدها توضح نصوص الملحمة أن الأداتين سقطتا الى العالم السفلي جراء صراخ العذراء الصغيرة من خلال ثقب موجود في الأرض، لذلك يصمم جلجامش على استرجاعهما فيمد يده وقدمه لكنه لا يستطيع الوصول إليهما، لهذا تأخذه نفسه بالحيرة والبكاء ملقياً نفسه على باب العالم السفلي يندب حضه لما حل به[18]. وهذا ما يشير إليه النص:

العذراء الضحوك، الفرحة على الدوام،
أنا العذراء ((إينانا)) يا لشدة بكائى!
فوقف أخوها البطل ((جلجامش))، إلى جانبها في هذه المشكلة،
وتمنطق بدرع يزن خمسين ((منا))
خمسون ((منا)) حملها وكأنها ثلاثون ((شيقلا))[19]
وحمل ((فأس الطريق)) العائدة له[20]
(التي يزن) سبع ((تالنتات))[21] وسبع ((منات))، بيده،
وعند جذورها (أي الشجرة) قتل الحية التي لا تعرف التعاويذ،
ومن على رأسها حمل طير ((الأمدوجود)) صغاره، وطار هارباً إلى الجبال،
وفي وسطها، هدمت الفتاة ((ليليت)) بيتها، وهربت غلى القفار.
وأقتلع الشجرة من جذورها، وقطع تاجها،
وقطع أبناء المدينة الذين رافقوه أغصانها،
وقدمها لـ ((إينانا)) المقدسة لتصنع منها عرشاً لها،
وقدمها لها لتصنع منها سريراً لها،
وصنعت هي من جذورها ((بوكو)) له، (أي جلجامش)،
ومن تاجها صنعت ((ميكو))،
((بوكو)) الدعوة للإجتماع – جعل الـ ((بوكو)) يدوي في الشوارع والطرقات
وقرع الطبل العالي – جعل أصداء القرع تتجاوب في الشوارع والطرقات

كان شباب المدينة ينادي عليهم (يقرع) الـ ((بوكو))،
وكانت المرارة والبلاء – وكان هو بلوى اراملهم[22]
وكن يندبن ((يا قريبى ويا زوجي))
من كان له أم – كانت تجلب الخبز لإبنها،
ومن كان له اخت – كانت تجلب الماء لأخيها[23]
وبعد ان اختفت نجمة السماء،
وحدد الاماكن التي كان (يضع) فيها الـ ((بوكو))،
حمل الـ ((بوكو)) أمامه وأتى به إلى بيته.
وعند الفجر،(لم يجد البوكو) في الأماكن التي حددها، فيا للاسى ويا للأسف!
أسرى! وموتى! وأرامل!
ومن اجل العذارى الصغار،
سقط الـ ((بوكو)) والـ ((ميكو)) في ((السكن العظيم)).
فأدخل يده، ولكنه لم يستطع الوصول إليهما،
فأدخل قدمه، ولكنه لم يستطع الوصول إليهما،
فجلس عند البوابة العظيمة ((جنزير)) ((عين)) العالم السفلى
وبكى ((جلجامش))، وشحب لون وجهه.
((يا لـ ((بوكي)) ويا لـ ((ميكى))،
إن ((بوكى)) فتنته لا تقاوم، وايقاعه لا يقاوم
آه لو كان ((بوكى)) في بيت النجار،
يا ليته كان عند زوجة النجار، التي كانت كالأم التي ولدتني،
آه لو كان عند ابنة النجار التي كانت كأختي الصغيرة
آه يا ((بوكي))، من ذا الذي سيخرجه من العالم السفلى!
آه يا ((ميكى))، من ذا الذي سيعيده من العالم السفلى!)) [24]

الواضح من النصوص المسمارية ان النزول الى العالم السفلي يتم عن طريق مداخل متعددة تؤدي اليه، ومن الممكن لأي حفره عميقة ان تؤدي الى ذلك العالم، بالإضافة الى مدخله الرئيس الذي

يقع وراء خط الأفق الغربي حيث مغيب الشمس ونزولها الى ذلك العالم، بالإضافة الى ذلك ان قبر الميت يعد من مداخل ذلك العالم يضاف الى ذلك انه من الممكن النفاذ الى ذلك العالم عن طرق فتح حفرة عميقة في الأرض وهذا ما يشير اليه نص الملحمة عندما اقام الاله (نرجال) بعمل ثغرة ليسمح لروح انكيدو بالصعود الى العالم الارضي ومقابلة جلجامش[25].

يوضح نص الملحمة بعد ذلك المعنى الحقيقي للصداقة من خلال تلبية نداء واستغاثة جلجامش من قبل صديقة انكيدو. وهذا ما يشير اليه النص:

فقال له خادمه ((أنكيدو))[26]

ان لـ (بكو) التي تعود لك ... انا سآتي بها لك من العالم السفلي.

ان الـ (مكو) التي تعود لك ... انا سآتي بها لك من وجه العالم السفلي[27].

ان المعروف وفق تعاليم ديانة الحضارة العراقية القديمة ان النزول الى العالم السفلي يمثل موت الإنسان وهلاكه الا ان انكيدو لا يبالي لذلك ويذهب مسرعاً للتضحية بنفسه من اجل مساعدة صديقة جلجامش دون إي تفكير أو تردد، مع علم الإنسان العراقي القديم ووفق تعاليم ذلك العالم ان النزول يكون دون رجوع منه. الا في حالة الالتزام بتعاليم وقواعد ثابته، لهذا يعمل جلجامش على إعطاء النصح والتعاليم لانكيدو إثناء عزمه النزول الى ذلك العالم وهذا ما أشار اليه نص الملحمة:

غير ان (كلكامش) حذره من مغبة الهبوط الى العالم السفلي ووصف له بإيجاز المحرمات الموجودة في ذلك العالم وقال مخاطباً اياه :-

لئن هبطت الى العالم السفلي.
سأقول لك كلمة فأستمع لكلمتي.
سأقدم لك النصح فخذ بنصيحتي.
لا ترتد اثواباً نظيفة.
والا هاجمك الابطال (الموتى) كالأعداء
لا تطل جسمك بالزيت الجيد الموجود في الاناء

مخافة ان يشموا رائحته ويتجمعوا حولك[28].

لا ترم عصا الرماية الى العالم السفلي

لئلا يحيط بك اولئك الذين ضربوا بعصا الرماية

لا تلبس نعلاً بقدميك

لا تبك في العالم السفلي

لا تقبل زوجتك التي تكرمها

لا تقبل ابنك المحبوب

لا تضرب زوجتك التي تكرهها

لا تضرب ولدك المكروه

لئلا يشد الصراخ وثاقك في العالم السفلي

ان البكاء من اجل تلك المضطجعة، من اجل تلك المضطجعة

ام الالهة (ننازو) المضطجعة

التي لا يكسو جسدها المقدس غطاء

التي لا يغطي ثديها المقدس نسيج من قماش[29].

تقدم ملحمة جلجامش صورة واضحة عن حالة روح الميت في العالم السفلي فروح الميت شفافة تشبه شكل صاحبها إثناء حياة لكنها لا تلبس الثياب النظيفة ولا تتطيب بالزيت ولا تحمل السلاح وتكون حافية القدمين تتحرك بصمت ولا تدخل في تماس مع الأرواح الأخرى حتى وأن كانت روح الزوجة أو الابن، وهذا ما نلتمسه من أثناء النصيحة التي يقدمها جلجامش لصديقة أنكيدو عندما اعتزم النزول الى العالم السفلي، فيحذر بمحظورات ذلك العالم[30].

غير ان انكيدو لم يلتزم بتعاليم سيده وعمل عكس ما اوصاه به لذلك وقع في قبضة العالم السفلي، وبهذا لم يستطع العودة الى الارض العليا. واصبح حبيس العالم السفلي. كما يوضح النص الاتي:

هبط ((أنكيدو)) إلى العالم السفلى،

إلا أنه لم يلتزم بكلمات سيده –

ولبس ثياباً نظيفة،
فهجم أصحاب السلطة عليه كأنهم أعداء،
ومسح جسمه بزيت الكأس العذب،
فتجمعوا عليه من جراء رائحته،
ورمى عصا الرماية في العالم السفلى،
فأحدق به اولئك الذين أصيبوا بها،
وحمل عصا بيده،
فاضطربت أشباح الموتى من حوله،
ولبس نعلاً في قدميه،
وأحدث صوتاً في العالم السفلى،
وقبل الزوجة التي أحبها[31]،
وصفع الزوجة التي كرهها،
وقبل الإبن الذي أحبه،
وصفع الإبن الذي كرهه،
فأمسكت به صيحة العالم السفلى بقوة –
لقد كانت الصيحة من أجل تلك النائمة، تلك النائمة،
من اجل أم ((نناز)) النائمة
من لا يغطي جسدها المقدس رداء،
ومن لا يغطي ثديها المقدس كساء،
ولم يستطع ((أنكيدو)) الصعود من العالم السفلى –
إن من يمسك به بقوة ليس المصير،
ولا يمسك به المرض بقوة.
إن العالم السفلى هو الذي يمسك به بقوة.
ليس الشيطان ((نرجال))، عديم الرحمة، من يمسك به بقوة،
إن العالم السفلى هو الذي يمسك به بقوة،

إنه لم يسقط في المعركة ((مكان الرجولة))،
إن العالم السفلى هو الذي يمسك به بقوة[32].

عند النزول الى العالم السفلي يكون حينها الشخص أو روحه خاضعة الى تعاليم ونواميس ذلك العالم ويشرف كبير البوابين المدعو (نيتي) بإدخال الشخص أو الروح من بوابات العالم السفلي السبعة[33]. لكن في مثل حالة انكيدو هذا تكون مغايرة تماماً لأن النزول كان تلقائياً (ذاتياً) لهذا يحذر جلجامش انكيدو من إغضاب العالم السفلي وان لا يقع في اسره لأنه حينها يكون الخروج من هناك مستحيلاً وبالفعل يقع انكيدو فريسة لذلك العالم نتيجة لسوء تصرف من قبله لعدم التزامه بتعاليم ونواميس ذلك العالم وانه قد تعدى على حرمات ذلك العالم وتعدى قواعده الموضوعة[34].

نتيجة لمخالفة انكيدو لجميع التعليمات، وعندما لم يسمح له بالصعود من العالم السفلي، حينها يسعى جلجامش بعد ذلك الى انقاذ صديقه فيتوجه الى الاله (انليل) الذي لم يستجيب لطلبه وكذلك الاله (سين) ايضاً دون جدوى، حينها يتوجه جلجامش الى الاله (أنكي) الذي يوافق الى إصدار أمر الى الإله (نرجال) لكي يفتح ثغرة في العالم السفلي تتصل بعالم الاحياء لكي تتمكن روح أو شبح أنكيدو من الخروج منها للقاء جلجامش[35]. لقد كان موت البشر بحسب العقائد الدينية القديمة يعني انفصال الروح عن الجسد وانتقالها الى العالم السفلي أي عالم الأرواح في حين يبلى الجسد في القبر وبمعنى أخر ان الموت يتمثل هنا بالانتقال للروح، ويسبب هذا الانتقال للبشر حالة من الحزن والحداد فالحزن هنا يلبي حاجة عاطفية لجلجامش باعتباره يمثل بعداً من إبعاد حياته الدنيوية[36]، والسبب في ذلك ان انكيدو كان يمثل الصديق المخلص والمضحي لصديقة لهذا من الطبيعي ان نجد جلجامش يحزن وينعى فقدان انكيدو. وهذا ما نلتمسه من النص الأتي:

فذهب إلى مدينة ((أريدو)).
وصعد وحيداً إلى ((أنكى)) في ((أريدو)) وبكى:
((أيها الأب ((أنكي)) إن ((بوكي)) سقط في العالم السفلى،
و ((ميكى)) سقط في ((جنزير)) (عين العالم السفلى)،
وأرسلت ((أنكيدو)) لاستخراجهما،
فأمسك به العالم السفلى بقوة،

إن الذي أمسك به بقوة ليس المصير،
ولم يمسك به المرض بقوة.
إن الذي أمسك به بقوة هو العالم السفلى.
إن الشيطان ((نرجال))،عديم الرحمة، لم يمسك به بقوة
إن العالم السفلى هو الذي أمسك به بقوة،
إنه لم يقع في المعركة ((مكان الرجولة))،
إن العالم السفلى هو الذي أمسك به بقوة.
ووقف الأب ((أنكي)) إلى جانبه في هذه القضية،[37]،
إيا الموقر (أجابة)،
أصدر تعليماته إلى نرجال الباسل الشجاع:
أي نرجال الباسل الشجاع (قال له)
نفذ أوامري
إفتح فقط كوه في العالم السفلي
لكي يصعد منها شبح أنكيدو
ولكي ينقل الى اخيه تقاليد العالم السفلي
امتثل نرجال الباسل والشجاع لأوامره
فتح فقط كوة في العالم السفلي:
عند ذلك فإن شبح أنكيدو، مثل نفخة هواء
خرج من العالم السفلي:
مدا ذراعيهما، الواحد نحو الآخر
وتعانقا بحرارة
ثم أخذا يتبادلان الحديث
ويصعدان زفرات كبيرة:
أخبرني يا صديقي
أخبرني!

أخبرني عن عادات وتقاليد العالم السفلي
التي شاهدتها![38].

يبين النص ان روح انكيدو عندما صعدت من العالم السفلي بهيئة شبح لملاقاة جلجامش وبمساعده من الاله نرجال إله العالم السفلي، كانت تحمل هذه الروح معها مشاعر المودة والصداقة، والدليل انها إثناء رؤيتها جلجامش تعانقت معه وهذا ما أوضحه النص أعلاه.

النص يبين حالة الروح بعد الموت من انها تحمل نفس الملامح الأساسية للإنسان بعد الموت وتستمر الروح في كيانها الشفاف، مع وجود بعض التغيرات التي تطرأ عليها عند الوفاة مثل ظهور الريش وتكوين جناحي لصاحبها، لهذا يستطيع شبح أنكيدو من التعرف على الأشخاص الذين يحبهم ويبغضهم في حياته من مجرد رؤيته أرواحهم في العالم السفلي[39].

وأيضا يبين النص الاعتقاد الذي كان سائداً عند سكان بلاد الرافدين من ان الإنسان ثنائي التكوين، أي انه مكون من كيانين، الأول مادي وهو الجسد والثاني أثيري هو الروح. وهم بذلك يقتربون من عقائد الديانات التوحيدية الكبرى ومع جل المعتقدات في عصرنا الحديث. وهم باعتقادهم هذا يشتركون معا بنقطة مهمة هي بأن الكيان المادي من الإنسان يفنى والكيان الأثيري يبقى بعد موت الجسد، إذن ان الكيانان أي الجسد والروح متلازمان ما دام الإنسان تدب فيه الحياة في الدنيا، ولكنهما ينفصلان تلقائياً بعد موت الإنسان فيبلى الجسد وتبقى الروح. أي الإنسان العراقي القديم استطاع ان يفسر عملية موت الإنسان من خلال انفصال الروح عن الجسد[40].

بعدها يوضح نص الملحمة حالة من السؤال والجواب الذي دار بين الصديقين، بعد طلب جلجامش من انكيدو من ان يصف إليه العالم السفلي؛ إذ جاء في النص:

ثم أخذا يتبادلان الحديث
ويصعدان زفرات كبيرة:
أخبرني يا صديقي
أخبرني!
أخبرني عن عادات وتقاليد العالم السفلي

التي شاهدتها![41].

من الممكن ان إصرار جلجامش على انكيدو من إخباره إسرار العالم السفلي، قد يكون انه وصل الى درجة القناعة من ان الموت ملاقيه ولا مفر منه وانه شيء حتمي على البشر؛ فتوضح الملحمة ان سعادة روح الشخص الذي نزلت روحة إلى العالم السفلي تتعلق بعدد ما ترك من أبناء في حياة الدنيا، وهذا اثأر الرعب في نفس جلجامش الذي لا أبناء له الذي كان رافضاً فكرة الموت وباحثاً عن الخلود، وهذه العلاقة التي تربط بين الأبناء والشخص الميت تشير إلى مدى إقامة الطقوس اللازمة بعد الموت والتي من الممكن أدائها أفضل كلما كان عدد الأبناء كبير[42]. وهذا ما يوضحه نصي الملحمة:

الذي ليس له سوى ابن واحد هل رأيته
نعم رأيته
إنه يبكي بمرارة أمام مسمار
مثبت على الجدار[43].

وكذلك النص:

الذي كان له سبعة ابناء، هل رأيته
نعم رأيته
إنه جالس في حضرة الآلهة
يستمع الى الموسيقى[44].

كذلك من المعتقدات التي كانت سائدة في الديانة العراقية القديمة والتي توضحها الملحمة بصورة دقيقة إنه روح الميت لا تتأثر بمدى الضرر الذي يتعرض له الإنسان والذي أدى به الى الموت فالروح عند نزولها الى العالم السفلي تكون على أتم وأحسن حال، وهذا ما تثبته طريقة موت الملك أورنمو الذي يصفه النص التاريخي أنه سقط في القتال مثل أناء محطم وهذا يوضح مدى الضرر الجسيم الذي تعرض له جسم أورنمو والذي أودى بحياته، لكن روحه لم تتأثر بذلك؛ إذ تصفها النصوص أنها تقدم القرابين الى آلهة العالم السفلي وهي بكامل سلامتها كما كانت عليه قبل حادث الموت، ومن الممكن ان يكون ذلك نوع من الامتياز فقط للطبقة الحاكمة الذي يختص به الملوك

والحكام والشخصيات المهمة، كما كانون يتمتعون بذلك الامتياز في الحياة الدنيا قبل موتهم وهذا الشيء بقي ملازماً لهم بعد الموت. أما الأشخاص الذين يمثلون عامة الناس فلا يتمتعون بهذا الامتياز؛ إذ أن واقع الحدث وطريقة الموت وعلته تكون مرافقه لهم في العالم السفلي[45]. وهذا ما ذهب اليه نص الملحمة:

الذي سقط من رأس صاري السفينة هل رأيته

نعم رأيته

إنه ينادي أمه لإسعافه

من أجل انتزاع اوتاد الربط[46]

الاستنتاجات

توصل الباحث إثناء كتابة البحث الى مجموعة من الاستنتاجات كان أهمها.

1- كان للأدب السومري الأثر البارز على مجمل النتاج الأدبي في حضارة بلاد الرافدين في الفترات اللاحقة؛ إذ وظف من قبل جميع الأقوام التي استوطنت بعدهم أرض العراق القديم.

2- يعكس النتاج الأدبي العديد من التقاليد والأفكار الاجتماعية والدينية، ومدى الترابط والوئام بين أبناء البلد.

3- يقدم النتاج الادبي العراقي مبادى انسانية رائعة اثرت بالفكر الانساني منها الصداقة التي تمثلت بجلجامش وانكيدو والتي وصلت الى فكرة التضحية من اجل الصديق كما فعل انكيدو من اجل جلجامش .

4- كان الموت الهاجس الأكثر فاعلية على جميع المجتمع، لهذا نسج حوله العديد من النصوص الأدبية، منها ما يتعلق بصراع الإنسان مع الطبيعة كالطوفان، ومنها ما يتعلق بالبحث عن الخلود كما موجود في ملحمة جلجامش.

5- اثر النتاج الأدبي العراقي القديم بالفكر الإنساني وهذا يظهر جليا من كثرة الترجمات لملحمة جلجامش والتي كانت من أهم الملاحم الفكرية بتاريخ الإنسانية .

6- توصل الإنسان العراقي القديم الى أن جسم الإنسان يتكون من ثنائي المادة الروح الأثيري والجسم الكائن المادي أحدهما يفنى والأخر يخلد.

7- إن الإنسان العراقي القديم كان على اطلاع ودراية واسعة بعالم ما بعد الموت، فنراه يصل الى درجة الوصف الدقيق لذلك العالم، من الخلود فيه أو معاقبة الأشخاص.

8- العالم السفلي من وجهة نظر الإنسان العراقي القديم مكان موجود تحت سطح الأرض وهناك العديد من الطرق المؤدية إليه منها فتحة القبر أضافه الى بابه الرئيس حيث مغيب الشمس وأي حفرة عميقة تؤدي الى ذلك العالم.

قائمة المصادر والمراجع

احمد ، محمد خليفة حسن

1- **الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش**،دار الشؤون الثقافية العامة "افاق عربية " ،(بغداد ،1988)

رشيد ،فوزي

2- **الشرائع العراقية القديمة**، (بغداد ، 1973)

الشواف، قاسم

3- **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور (الموت والبعث والحياة الأبدية)**، ج4، دار السافي، (بيروت، 2001).

قاشا ، سهيل

4- **الحكمة في وادي الرافدين ،ط1** ، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ،(بيروت ،2006)

كريمر، صموئيل نوح

5- _____ **من ألواح سومر**, ترجمة طه باقر, مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر, (القاهرة، 1958).

6- _____ **الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد** ، ترجمة يوسف داود عبد القادر، (بغداد 1971).

7- _____ **السومريون أحوالهم – عاداتهم – تقاليدهم**, ترجمة فيصل الوائلي, (الكويت, 1973).

لابات، رينيه

8- **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية**، تعريب، الاب البير ابونا ووليد الجادر، (بغداد، 1988).

ألماجدي, خزعل

9- **إنجيل بابل**، الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، 1998).

نائل حنون

10- _____ **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، (بغداد، 1986)

11- _____ **ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي، ط1**، دار الخريف للنشر والتوزيع ،(دمشق ،2006)

12- _____ **الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة بحث في المعتقدات الدينية والاساطير القديمة**، دار الخريف للنشر والتوزيع، (دمشق، 2005).

الهاشمي، رضا جواد،

13- القانون والأحوال الشخصية "**حضارة العراق**"، (بغداد ، 1985)، ج2.

14- SAMUEL NOAH KRAMER, DEATH AND NETHER WORLD

15- ACCORDING TO THE SUMERIAN LITERARY TEXTS,

Iraq, Vol.

الهوامش

(1) كريمر، صموئيل نوح، **من ألواح سومر**, ترجمة طه باقر, مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر, (القاهرة، 1958)،، ص 325.

(2) كريمر، صموئيل نوح، **الأساطير السومرية دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد** ، ترجمة يوسف داود عبد القادر، (بغداد 1971)، ص 57.

(3) كريمر، **من الواح سومر**، ص 324؛ كذلك ينظر: لابات، رينيه، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية**، تعريب، الاب البير ابونا ووليد الجادر، (بغداد، 1988)، ص 265.

(4) ألماجدي, خزعل، **إنجيل بابل**، الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، 1998)، ص 233.

5 – نائل حنون ،ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي، ط1 ،(دمشق ،2006) ،ص248 .

6 – نائل حنون ،المصدر نفسه ،ص63–64 .

7 – نائل حنون ، المصدر نفسه ، ص64 .

(8) نائل حنون، **الحياة والموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة بحث في المعتقدات الدينية والاساطير القديمة**، دار الخريف للنشر والتوزيع، (دمشق، 2005)، ص 222.

9 – محمد خليفة حسن احمد ،الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش ،(بغداد ،1988)،ص54 .

10 – نائل حنون ، ملحمة جلجامش ، ص15 .

11– محمد خليفة حسن ،الاسطورة والتاريخ ،ص36 .

12 – نائل حنون ملحمة جلجامش ،ص18 –20 .

13 – محمد خليفة حسن ،الأسطورة والتاريخ ،ص59 –60 .

14– سهيل قاشا ،الحكمة في وادي الرافدين ،ط1 ،(بيروت ،2006) ،ص63 .

15– محمد خليفة حسن ،الأسطورة والتاريخ ،ص76 .

16 – محمد خليفة حسن ،الاسطورة والتاريخ ،ص71 .

17– المصدر نفسه ، ص151 –152 .

(18) كريمر، **الاساطير السومرية**، ص 58 – 59.

(19) يعادل الشيقل 6،10 من ((المنا)) التي تعادل 500 غرام تقريباً. للمزيد ينظر: رشيد، فوزي، **الشرائع العراقية القديمة**، (بغداد ، 1973)؛ الهاشمي، رضا جواد، القانون والأحوال الشخصية "**حضارة العراق**"، (بغداد ، 1985)، ج2.

(20) كريمر، صموئيل نوح، **السومريون أحوالهم – عاداتهم – تقاليدهم**, ترجمة فيصل الوائلي, (الكويت, 1973)، ص 284.

(21) التلنت يساوي 60 ((منا)) أي حوالي 30 كيلو غرام. للمزيد ينظر: رشيد، **المصدر السابق**.

(22) قد تكون هذه اشارة الى دعوة جلجامش لشباب المدينة الى الحرب؛ إذ انه من المحتمل كان يقرع الطبول اثناء ندائهم الى الحرب مما يسبب ذلك الحزن والألم لنسائهم. كريمر، **السومريون** ص 285.

(23) كريمر، **السومريون** ص 285.

(24) كريمر، **السومريون** ، ص 286.

(25) نائل حنون، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، (بغداد، 1986)، ص 112 – 113؛ كذلك ينظر: حنون، **الحياة والموت**، ص 232.

(26) كريمر، **السومريون**، ص 286.

(27) كريمر، **الاساطير السومرية**، ص 59.

(28) **المصدر والصفحة نفسهما**.

(29) كريمر، **الاساطير السومرية**، ص 60.

(30) حنون، **الحياة والموت**، 219.

(31) كريمر، **السومريون**، ص 289.

(32) كريمر، **السومريون**، ص 289.

(33) حنون، **عقائد ما بعد الموت** ، 114.

(34) **SAMUEL NOAH KRAMER, DEATH AND NETHER WORLD ACCORDING TO THE SUMERIAN LITERARY TEXTS, Iraq, Vol. 22, P 66.**

(35) الشواف، قاسم، **ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور (الموت والبعث والحياة الأبدية)**، ج4، دار السافي، (بيروت، 2001)، ص 173 – 174.

(36) حنون، **الحياة والموت**، 132.

(37) كريمر، **السومريون**، ص 290– 291.

(38) الشواف، **ديوان الأساطير سومر** ج4 ص 422- 423.

(39) حنون، **الحياة والموت**، 216.

(40) حنون، **الحياة والموت**، 132.

(41) الشواف، **ديوان الاساطير سومر** ج4 ص 422- 423.

(42) الماجدي، **انجيل بابل**، ص 233.

(43) الشواف، **ديوان الاساطير سومر** ج4 ص 425.

(44) **المصدر والصفحة نفسهما.**

(45) حنون، **عقائد ما بعد الموت**، ص 115؛ للمزيد ينظر:

KRAMER, **DEATH AND NETHER WORLD.**

(46) الشواف، **ديوان الاساطير سومر** ج4 ص 427.